التجديد عند محمد باقر الصدر

م.م. عماد معن خواره الماجدي(*)

المقدمة

تكمن أهمية محمد باقر الصدر في أنه صاحب مشروع فكري كبير يتسع بسعة أهدافه في بناء المجتمع الصالح والدولة الصالحة، ويسبر أغواراً قصية في عمق طرحه الذي يقوم على تغيير المحتوى الداخلي للإنسان، وإصلاح منظومته الثقافية والنفسية على أساس القرآن، وأصل الأصول في ذلك كله، والمبدأ الذي تنطلق منه مشاريع الإصلاح والتغيير كلها على مستوى الفرد والمجتمع هو معرفة الله، والإيمان به، والتخلّق بأخلاقه، وهو بعد هذا وقبله غاية الغايات للإنسان الفرد والمجتمع.

لقد كان إبداع محمد باقر الصدر عند نهوضه بهذه المهمة الكبيرة يكمن في أنه اصطنع المناهج الجديدة، وحرث أرضاً بكراً تحت سماء الأدلة على صلاح النظرية الإسلامية وصلاحيتها في كل مجال من مجالات الحياة، ولأجل هذا الهدف الكبير كان عمل الصدر يسير بالاتجاهين الأفقي والعمودي، أي سعة وعمقاً. وكان أسُّ البناء وجذر الشجرة في مشروع الصدر ومحور عمله هو الإيمان بوجود الخالق المرسِل جلّ وعلا، بصفاته كمالاً وجلالاً، رابطاً ذلك كله بقضية الرسول ومزاياه وخصوصياته، ومسؤولياته، والرسالة التي جاء بها مبلغاً عن الله، وقيمة محتواها، وقدرته على بناء الإنسان. وكان الصدر في طرحه ومعالجاته تلك يستعين بمنهج استدلالي هو المنهج نفسه الذي قامت على أساسه علوم الحضارة الإنسانية المعاصرة، التي امتازت بالنأي عن المطلقات، والبعد عن مقولات الحتم، وهجر دعاوى إمساك الحقيقة والإحاطة بها. وهذا ما انعكس على الصدر، فأثمر منطقاً لا يحتكر الحقيقة، ولا يدّعي الإمساك بها، ولاسيما في معالجاته التي تتقدم فيها شخصية المفكر والفيلسوف على شخصية الفقيه؛ فهذه الأخيرة عادة ما تكون محكومة بمقولات المدارس الكلامية، ومثقلة بتراث تراكم عبر القرون المتطاولة، ولعل الزمان لو اتسع للصدر لأبدع في هذا المجال، ولكن الطغاة لم يمهلوه، وشاء الله له الشهادة.

ونحن هنا وبمقدار الوسع والطاقة سنحاول بيان أهم مرتكزات الإبداع والتجديد الصدري وأُسسه.

(*) كلية الآداب/الجامعة المستنصرية / قسم الفلسفة

المبحث الاول : محمد باقر الصدر وحركته الاصلاحية

اولاً :حياته (١٩٣٥هـ ـــ ١٩٨٠م)

محمـد باقـر الصدرفقيه ومفكر إسـلامي كبيـر، ولـد في مدينـة الكاظمية فـي العاصمة بغداد، لأسـرة علويـة عريقة، عُـرف أبناؤها بالعلم والزعامة الدينية في الوسط الشيعي، على امتداده الواسع في منطقة الشرق الأوسط. رحل الصـدر الفتى اليافع الى النجف الأشـرف عام ١٩٤٥م لدراسـة العلوم الإسلامية في حوزتها العريقة، فتتلمذ على أيـدي كبار علمائها، حتى بلغ رتبة الاجتهاد الفقهي في زمن قياسي. وهكذا بدأ بالإنتاج الفكري وهو في سـن مبكرة، وكان للفلسـفة، والبحوث العقلية، المساحة الأكبر في جملة مؤلفاته، التي نذكر منها:

١. فدك في التاريخ.
٢. غاية الفكر في علم الأصول.
٣. فلسفتنا.
٤. اقتصادنا.
٥. البنك اللاربوي في الإسلام.
٦. بحوث في شرح العروة الوثقى.
٧. تعليقة على منهاج الصالحين.
٨. الفتاوى الواضحة.
٩. دروس في علم الأصول.
١٠. المدرسة الإسلامية
١١. المدرسة القرآنية.
١٢. بحث حول المهدي.
١٣. بحث حول الولاية.
١٤. أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف.
١٥. الأسس المنطقية للاستقراء.
١٦. الإسلام يقود الحياة.
١٧. ومضات (وهي مجموعة من البحوث والمقـالات والمحاضـرات التـي جُمعـتْ بعد استشهاده).
١٨. لمحـة فقهية عن دسـتور الجمهورية الإسلامية.

وغيرها مـن النتاجات الفكريـة التي مثلتْ بمجموعهـا محاولـة جادة لإخـراج النظريات الإسـلامية التـي تحمـل المعالجـات لمختلـف مشـاكل الحياة وإبرازها. و تجدر الإشـارة الى أنّ بعض بحوثه التي كانتْ في طور التأليف، قد فُقدتْ حينما صادرتْ سـلطات البعث الصدامي ممتلكات الصدر، قبيل قيامها بجريمة قتله[١].

ثانياً : ملامح مشـروع الصدر وحركته الإصلاحية.

كان هـدف محمد باقـر الصدر في جميع ما انتجه فكـراً وعملاً، هو إقامـة وبناء النظام والمجتمع الإسـلامي، الذي يسـير وفقاً للمنهج الإسـلامي في الفكر والثقافـة والعمل، بالنظر الـى الحديث عن النظام والمجتمـع وهما اثنان تـم وصفهمـا ب (الـذي) وهو مفـرد أن الدين الإسـلامي ((يفي بأمس وأهم حاجتين للبشرية، وهمـا: القاعدة الفكرية، والنظـام الاجتماعي[٢]. وكان الصـدر يصـف فـي خطاباته ورسـائله المعلنـة هذا الهدف بانه (حلـم الأنبياء) وقد بين أبعـاد ومرتكـزات هذا الهدف فيمـا طرحه في كتابه الإسلام يقود الحياة على المستوى الفكري والسياسي والاجتماعي والاقتصادي، كما أفرد

لبعض المواضيع المهمة في بنية هذا المشروع كتباً مستقلة، كما هو الحال في كتاب اقتصادنا .وفيما يلي عرض لبعض المرتكزات المهمة في المشروع الإصلاحي للصدر، مع التأشير على منجزه في هذا السبيل:

أولاً : أسس الإصلاح عند الصدر.

يقوم المشروع الإصلاحي عند الصدر في بعده الفكري على الأسس التالية:

١- إن حركة التاريخ هي حركة غائية و سببية، فهي بالإضافة الى كونها محكومة بالأسباب والمسببات الطبيعية والاجتماعية وما الى ذلك مما يخضع لأحكام العلاقة بين المقدمات ونتائجها، فهي ليست جامدة عند أسبابها الماضية والحالية، بل هي مشدودة الى المستقبل، ذلك المستقبل الذي يعمل على جذب الواقع والحياة نحوه باستمرار. وإن هذه الغاية التي تحكم مسيرة وحركته التاريخ تتقوم بالمثل الأعلى الذي يقدم لنا الهدف و النموذج الذي على أساسه يتم تغيير المحتوى الداخلي للإنسان. وهذه الرؤية تضفي على المسار الحركي للإنسان روحية التكامل والبناء المستمر، بعكس الروحية التي ترافق الطرح السلفي التقليدي الذي يجمد ويتسمّر عند نقطة تاريخية معينة. ومن هنا نستطيع أن نفهم ما طرحه الصدر من عدة وأدوات يراها ضرورية في الوصول إلى تفسير موضوعي للقرآن الكريم، وهي تنطلق من واقع التجربة البشرية، وتتقوم بمجموع الأسئلة التي تنتجها. ولا ريب أن تلك الأدوات التي قد بدا عمقها الفلسفي واضحاً في كلمة الصدر التي يقول فيها :

((الحقيقة ليستْ ملك شعب دون شعب أو عقل دون عقل، الحقيقة قد تكشّفتْ جوانبها بالتفاعل والتساند بين كلّ الشعوب))[٣].

ولعل من أهم الثمار التي يتذوقها الباحث في التراث الفكري للصدر تلكم النقلة في الرؤية العامة التي تنأى بنفسها عن دعوى الإمساك بالحقيقة، فضلاً عن احتكارها، وهذه الثمرة الطيبة هي من نتاج المنهج الاستقرائي الذي اعتمده الصدر، وهو ما سنقف عنده لاحقاً.

٢- إن المحتوى الداخلي للإنسان هو الأصل في عملية التغيير، وهو البنية التحتية والأصل الذي يكون معه كل ما عداه بناءً فوقياً وثانوياً، ونظرية التغيير في القرآن تقوم على التلازم بين تغيير البنى الفوقية وتغيير ما في النفوس، وهو يمثل المحتوى الداخلي، وهو المعنى الذي يؤكده قوله تعالى:

{إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ } سورة الرعد/ الآية ١١، وقوله أيضاً: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} سورة الأنفال/ الآية ٥٣، وهذا التلازم هو عين الارتباط بين الجهاد الأكبر والجهاد الأصغر وفقاً للتعبير الوارد عن النبي الأكرم(ص)[٤]، فعملية البناء الداخلي تسمى (الجهاد الأكبر)، وعملية إرساء البنى الفوقية يطلق عليها محمد باقر الصدر (الجهاد الأصغر) والجهاد الأصغر إذا ما انفصل عن الجهاد الأكبر يفقد محتواه ومضمونه، ويفقد قدرته على التغيير الحقيقي على الساحة التاريخية والاجتماعية، ولولا أهمية المحتوى الداخلي ومركزيته في عملية التغيير لما وصفه النبي الأكرم(ص) بالجهاد الأكبر[٥].

ثانياً: جهوده العلمية.

١ــ في تفسير القرآن، حيث طرح الصدر (أهم قواعد منهجه العلمي) عن طريق كتابه المدرسة القرآنية والذي عرض فيه مشروعه في التفسير الموضوعي للقرآن الذي يستهدف استخراج النظريات القرآنية لكل شأن من شؤون الإنسان والحياة، وفقاً لطريقة تقوم على استثمار تجربة البشرية ومعطياتها العلمية والاجتماعية، وعلى أسس عقلية في فهم واستيعابه الخطاب القرآني. وعلى الرغم من أن الصدر لم يكن أول من استعمل طريقة (التركيز على موضوع بعينه) في التعاطي مع القرآن، إن سبقه المصري محمد عبدالله دراز (١٨٩٤هـ ـ ١٩٥٨م) في كتابه (دستور الأخلاق في القرآن) إلّا أن ريادة الصدر كانت في:

أ- وضعه قواعد هذا المنهج، وبيان خطواته، وتشخيص مزاياه في مقابل المناهج الأخرى[٦]. ولقد تميزت تجربة الصدر في هذا المجال بدقة الطرح والبلورة الواضحة لأبعاد المشروع وخصوصياته، تجدر الإشارة الى أن الصدر كان قد مارس هذا المنهج في بعض مؤلفاته السابقة، وعمل وفقاً لهذه المنهجية في التعامل مع النص الديني قبل أن يطرحها ويبين أبعادها في كتابه المدرسة القرآنية، كما هو الحال في كتاب اقتصادنا الذي صدر قبل كتاب المدرسة القرآنية، وليس معلوماً بالقطع واليقين أن الصدر كان قد إطلع على نتاج محمد عبدالله دراز وأفاد منه في هذا المجال، إذ أن دراز كان قد كتب مؤلفه باللغة الفرنسية كأطروحة دكتوراه في السوربون نهاية عام ١٩٤٧م، وقد سَمى منهجه هذا بالنظام المنطقي، ولم يترجم الى العربية إلّا في عام ١٩٧٣[٧].

ب- بدا الصدر في مشروع التفسير الموضوعي أقرب الى الطرح الحداثي الوسطي إذ جعل من مخرجات التجربة البشرية المعاصرة وسيلة الى فهم النص واستخراج معانيه الكامنة، داعياً الى استنطاق النص عن طريق التعاطي الإيجابي، إذ يقف الإنسان أمام النص موقف المستفهم المحمّل معطيات التجربة البشرية، وما أبدعته ونجحتْ فيه، من العلوم كلها والمعارف، وما راكمته من خبرات ونتائج لتجارب الإنسان، سواء أكانت ناجحة أم فاشلة؛ إذ هي في النتيجة تمثل إضافة معرفية لتجربته في الحياة. وهنا ينطلق الباحث عن جواب القرآن من الواقع محملاً بكل استفهاماته نحو القرآن ليعود بعد ذلك الى الواقع المعاش، فالعلاقة بين فهم القرآن والواقع تكون علاقة تبادلية؛ إذ تثري التجربة البشرية في الحياة أدوات فهمنا للقرآن، كما يثري النص القرآني فهمنا للحياة. وهذا الموقف يختلف تماماً عن موقف التلقّي السلبي، إذ ينطلق فيه صاحبه من النص ليعود إليه، ثم ينتج قوالب من الفهم المحدد بمدلول الألفاظ، والمقيد بالموروث الروائي، وهذا (الفهم) كثيراً ما يكون بعيداً عن الواقع؛ إذ هو نتاج المنهج التفسيري المحكوم بالموروث الذي أنتجته بيئة مجتمعية في ظروف ثقافية مختلفة عن بيئة وثقافته العصر الراهن، كما أنه في كثير من الأحيان لا يستند الى المرتكزات العامة للخطاب القرآني، ويكون قاصراً عن إنتاج رؤية واضحة لموقف القرآن تجاه قضية معينة من قضايا الإنسان والحياة [٨].

٢ــ في علم الكلام، طرح الصدر منهجية جديدة تقوم على المنطق العلمي الاستقرائي في التعاطي مع أصول العقيدة الإسلامية، بحيث تكون الأسس العلمية الحاكمة هي بذاتها ادوات

الفهم والاستدلال، هذا بالإضافة الى تأكيد الصدر على ما في أصول العقيدة من بعد أخلاقي عملي على المستوى الفردي والاجتماعي، ولاسيما في قضية توحيد الله وصفاته، وقيمة أصل العدل في العقيدة الإسلامية، إذ يقول: ((ولم يكن من الصدفة أن يوضع العدل أصلاً ثانياً من أصول الدين، ويُميَّز عن سائر صفات الله تعالى بذلك، وإنما كان تأكيداً على أهم صفات الله تعالى في مدلوله العملي ودوره في توجيه المسيرة الإنسانية ... وذلك لأن العدل في المسيرة وقيامها على أساس القسط هو الشرط الأساسي لنمو كل القيم الخيّرة الأخرى، وبدون العدل والقسط يفقد المجتمع المناخ الضروري لتحرك تلك القيم وبروز الإمكانات الخيّرة))[٩].

٣- في علم الأصول، حيث يُعد الصدر بحسب اهل الاختصاص من المجددين في هذا الميدان[١٠]، ولقد عني الصدر بعلم أصول الفقه عناية كبيرة، وخصص له العديد من مؤلفاته، تاركاً عليه بصمته الخاصة في التجديد، فقد أعاد الصدر إنتاج وسائل الإثبات ضمن قراءة استقرائية فدرس الإجماع والشهرة والتواتر والسيرة بشقيها العقلائي والمتشرعي، على أسس استقرائية[١١]. وكان لهذا اثره في تطوير المباني الفقهية للصدر، والتي أسهمت في منتجه كفقيه يسعى لبيان الموقف والنظرية الإسلامية في مناحي الحياة الفردية والاجتماعية.

٤- في الفلسفة، ونتاجه المهم فيها كتاب فلسفتنا، وكتاب الأسس المنطقية للاستقراء. وكان كتاب فلسفتنا هو الأول زمانياً، في حين كان كتاب الأسس المنطقية للاستقراء، هو الأول عند السيد الصدر من حيث القيمة والمكانة، فقد كان يعده حصيلة حياته العلمية[١٢]. وهو يمثل محاولة الصدر تجديد مناهج المنطق في الحوزة العلمية[١٣].

وعلى العموم مثّل الكتابان جزءاً مهماً من المشروع الفكري للصدر، ولاسيما في المجال العقائدي، إذ عرض في كتاب (فلسفتنا) نظريته في المعرفة وفق المنطق الأرسطي، والاتجاه العقلي في المعرفة، ممهداً في ذلك كله طريق الدخول الى المبحث الأساسي الذي يقصده الصدر، وهو نظرية الوجود والمفهوم الفلسفي للعالم، الذي كان هو الهدف الأساسي الذي يتوخاه[١٤]، فكتاب ((فلسفتنا هو: مجموعة مفاهيمنا الأساسية عن العالم، وطريقة التفكير فيه))[١٥]. وفي كتاب الأسس المنطقية للاستقراء يقول الصدر: ((ونحن في هذا الكتاب إذ نحاول بناء نظرية المعرفة على أساس معين، ودراسة نقاطها الأساسية في ضوء يختلف عمّا تقدم في كتاب فلسفتنا سوف نتخذ من دراسة الدليل الاستقرائي ومعالجة تلك الثغرة فيه أساساً لمحاولتنا هذه))[١٦]، وعندما يصل الى نهاية الكتاب يقول: ((إن هذه الدراسة الشاملة التي قمنا بها كشفت عن الأسس المنطقية للاستدلال الاستقرائي، الذي يضم كل ألوان الاستدلال العلمي القائم على أساس الملاحظة والتجربة. واستطاعت أن تقدم اتجاهاً جديداً في نظرية المعرفة يفسر الجزء الأكبر منها تفسيراً استقرائياً مرتبطاً بتلك الأسس المنطقية التي كشف عنهما البحث))[١٧].

ثالثاً: جهوده الحركية.

والمقصود بها نشاطاته وحركته في الواقع العملي، التي تبلورت على أساس المنطلقات الفكرية للسيد الصدر، وهنا نسلط الضوء على النقاط التالية:

١- المساهمة الفاعلة في تأسيس وبلورة حركة سياسية منظمة تعمل على تغيير الواقع

السياسي والاجتماعي على أساس الإسلام. وتجسّد ذلك في مساهمته المتميزة والفاعلة والرئيسة في تأسيس وبنائه حزب الدعوة الإسلامية، في عام ١٩٥٧م[١٨].

٢ـ العمل على إصلاح الحوزة العلمية في النجف وتطويرها . مع ملاحظة أن الصدر لم يكن أول من سعى في هذا المجال، إذ تعود أولى المحاولات في هذه القضية المهمة الى جهود الشيخ محمد جواد الجزائري(١٨٧٧هـ ١٩٥٩م)، ومشروع نقابة الإصلاح العلمي الذي انطلق مع إطلالة القرن العشرين، وقد زامنته جهود السيد هبة الدين الشهرستاني(١٨٨٣هـ ـ١٩٦٧م) ومشروعه الرائد في مجلة العلم، إضافة الى جهود السيد محسن الأمين (١٨٦٥هـ ـــ ١٩٥٢م). ولقد كان مشروع منتدى النشر للشيخ محمد رضا المظفر(١٩٠٤هـ - ١٩٦٤م) من أهم المشاريع الرائدة في هذا المجال[١٩]. ولا يخفى أن اهتمام الصدر في هذا الجانب يعود الى أهمية موقع هذه المؤسسة في مشروعه الكبير.

الفرادة والريادة في مشروع الصدر:

كانت ميزة محمد باقر الصدر أنه لم يكتف بالترويج والدعوة الى تحكيم شريعة الله، كما فعل سيد قطب[٢٠] - مثلاً - فقد أدرك الصدر أن هذه المهمة الكبيرة بحاجة الى بنية فكرية نظرية تكون قادرة على مواكبة المتطلبات العملية للدولة واستيعابها ، ومسألة الحكم، ومن هنا نشط الصدر في تقديم مفردات أطروحة الدولة الإسلامية، وبيان المنظومة التشريعية التي ينبغي أن نطبقها في معرض سعينا لتحكيم دين الله في العباد والبلاد. ويتضح هذا المعنى في النقاط التالية:

١- عرض الصدر المنهج الذي عن طريقه نستطيع استخراج ومعرفة النظرية الإسلامية ومعرفتها في أي مجال من مجالات الحياة، وذلك في أثناء عرضه في فهم الطريقة المثلى الخطاب القرآني، وذلك في كتابه المدرسة القرآنية الذي طرح فيه ما يسميه الصدر بـ (التفسير الموضوعي للقرآن) وفيه بين الصدر الطريقة الأنجع في التعامل مع النص الديني ولاسيما القرآن الكريم، وبنفس هذه المنهجية والعقل المفتوح تعامل مع أحداث السيرة، والتاريخ الإسلامي، ومن ثم لم يقع السيد الصدر فريسة التقليد والانقياد الأعمى، الذي وقع فيه على سبيل المثال (سيد قطب) في نظرته للجيل الأول من المسلمين.

٢.- أوضح الطريقة التي يمكن ان تغطي ما يسميه الصدر منطقة الفراغ التشريعي وتسدها ، وذلك في كتابه الإسلام يقود الحياة، وما طرحه هناك في موضوع خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء، واللمحة الفقهية التمهيدية عن دستور الجمهورية الإسلامية.

٣- بيان النظرية الإسلامية في الاقتصاد، وهو الركيزة الكبيرة في بناء المجتمعات المدنية والدول المتقدمة، وقد عرض الصدر ذلك في كتاب اقتصادنا، وكتاب البنك اللاربوي، إضافة الى البحوث التي عرضها في كتاب الإسلام يقود الحياة، وهي: (صورة عن اقتصاد المجتمع الإسلامي) ، و(خطوط تفصيلية عن اقتصاد المجتمع الإسلامي)، و(الأسس العامة للبنك في المجتمع الإسلامي) .

وبعد ما تقدم، لابد لنا أن نؤكد بأن كون محمد باقر الصدر يمثل قامة فكرية وإصلاحية كبيرة، لا يعني عصمته بحال من الأحوال،

ومن هنا كان بالإمكان رصد بعض الملاحظات التي بدت لنا مؤاخذات على المشروع الفكري والإصلاحي للصدر، وبالشكل التالي:

١- كانت صفة الفقيه تضيّق على الصدر كمفكر إسلامي، فتجده في بعض الأحيان يتأثر بالموقف الفقهي، مهما حاول التخفيف من شدته في قضايا هي من صميم الخطاب الإسلامي العام الذي يرتكز على ثوابت القرآن الكريم، والسيرة المعصومة، كما هو الحال في موقفه من مسألة المرتد عن الإسلام، والتي عالجها في الأساس الثاني من أسسه[٢١].

٢- في معرض تعداده أنواع الدول، وتحديداً في الأساس الرابع من أسسه الإسلامية[٢٢]، بدا الصدر أقرب الى طروحات (سيد قطب) في التعامل مع الأنظمة المخالفة، وانطلاقاً من أساس مركزية قضية (حاكمية الشريعة) لا أساس مركزية قضية (العدالة) في التعامل مع الآخر المختلف، والتي هي من مبادئ الخطاب القرآني الواضحة، كما في قوله تعالى: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} سورة الممتحنة/ الآية ٨ ـ ٩ .

يضاف الى ما تقدم ان السيد محمد باقر الصدر لم يتمكن من الاقتراب من الجمهور العادي بشكل حقيقي، فلم يكن الصدر شعبوياً بالمعنى الدقيق، بل كان أقرب الى النخبوية، وهذا أفقده الكثير من الفاعلية في مشروعه التغييري. في المقابل نجد معاصره وقريبه (السيد موسى الصدر) متميزاً في مجال علاقته بالجمهور الشعبي، مما أكسبه حيوية الحركة، وقوة التأثير في الجمهور العام، وهذا ما كان يفتقر له مشروع محمد باقر الصدر، على الرغم من أنه حاول التعويض عن ذلك عن طريق القاعدة الحزبية للحركة الإسلامية، إلا أن تلك المحاولة بقيت دون متطلبات المشروع، وقد التفت الصدر الى هذا الخلل في مشروعه الإصلاحي، وعبّر عن نيته الجادة في تصحيح ذلك، بحسب ما نقله بعض القريبين منه[٢٣]، ولكن الطغاة لم يمهلوه، ليستكمل مفردات وأدوات مشروعه الإصلاحي، وإن أصبحت قضية شهادته من بين تلك الأدوات الفاعلة في حركة التغيير والإصلاح التي أرادها.

المبحث الثاني: التجديد في منهج الاستدلال الديني عند الصدر

لابد لنا قبل الخوض في أصل المطلب أن نبين معنى التجديد ومفهومه، في اللغة والاصطلاح. ففي اللغة، الجديد ما لا عهد لك به. وجدد الشيء تجديداً، جعله جديداً[٢٤]. والتجديد إما إنشاء شيء جديد لم يُعهد من قبل، أو تبديل قديم، وهو مادي كتجديد الملبس والمسكن، أو معنوي كتجديد مناهج التفكير، وطرق التعليم[٢٥].

وبناءً على ما تقدّم فالتجديد في مجال الفكر أو في مجال الأشياء على السواء، وهو أن تعيد الفكرة، أو الشيء الذي بلى أو قدم أو تراكمت عليه من السمات والمظاهر ما طمس جوهره، وأن تعيده الى حالته الأولى يوم كان أوّل مرة، فتجديد الشيء هو أن تعيده جديداً، وهذا يجري على الفكر. وقد شاع استعمال مفهوم التجديد كمصطلح يُقصد به تكوين

ظـروف الاسـتمرارية، فتجديـد الفكـر يعني اسـتمرارية الإيمان بصلاحية ذلـك الفكر لكي يكون أداة لتوجيه الإنسـان وهدايته، أو هو أداة التواصل؛ لأنه يعطي للفكرة بعدها الزمني عن طريـق ربط تلك الفكرة بالرؤية المتجددة، التي تمنحها القدرة على الاستمرار والبقاء والصمود في وجه التطورات المسـتحدثة، التي يفرضها الواقع الجديد[٢٦].

لقد امتاز محمد باقر الصدر بفكره التغييري الإصلاحـي، ومنهجـه التجديدي فـي التعاطي مـع قضايـا الفكر الإسـلامي، وكمـا أوضحنا فيما سـبق من هـذا البحـث، فقـد كان الصدر عقـلاً منفتحـاً، وروحـاً حيوية فاعلـة، لم تقف عند نقطة تشـخيص الـداء، وإنما انطلقت بعزم وقوة نحو توصيف الـدواء، والعمل على جعله في متناول جميع المحتاجين إليه. وكانت قضايا العقيـدة بما لها من مكانـة مركزية في منظومة الفكر الإسلامي، هي ما يشغل الصدر بالدرجة الأسـاس، وهـي ما تسـتحق أولويـة الاهتمام، وتطوير الأدوات، وإبداع الجديد من المنهجيات القـادرة على مجـاراة حاجـة المجتمع، ووعيه النامي ومشاكله المتجددة.

لقـد تمكن محمد باقر الصـدر من أن ينتقل بمنهج الاسـتدلال الديني من المنهج الأرسطي الى منهج الاسـتقراء العلمي القائم على حساب الاحتمالات، وذلك بعد اكتشـاف الصدر مذهباً جديـداً (تفسـير كيفية نمـو المعرفة البشـرية وتوالدهـا) ، وهـو غير مـا كان معروفـاً بين المذهبيـن التقليدييـن، العقلـي والتجريبي، وقد أسـماه الصدر (المذهب الذاتـي للمعرفة)[٢٧]، وهو يتفق مع المذهب العقلي في الإيمان بوجود قضايا ومعارف يدركها الإنسـان بصورة قبلية مستقلة عن الحس والتجربة، وهي القضايا التي يتشكل منها أسـاس المعرفة البشرية، ويختلف المذهـب الذاتـي للمعرفة عن المذهـب العقلي في مسـألة تفسـير نمو المعرفة، وكيفية نشـوء معارف جديدة لدى الإنسان من معارفه القبلية، فالمذهـب العقلي لا يعتـرف إلّا بطريقة واحدة لنمو المعرفة وهي طريقة التوالد الموضوعي، بينمـا يرى المذهب الذاتـي في المعرفة أن لدى الذهن البشري طريقتين لنمو المعرفة، هما:

١ـ طريقة التوالد الموضوعي:

وبيانهـا أنّ في كل معرفة بشـرية جانبين، أحدهمـا ذاتـيٌ والآخر موضوعـيٌ فنحن حين نعرف ـ مثلاً ـ بأنّ الشمس طالعة، أو أنّ المساوي لأحد المتسـاويين مساو للآخر أيضاً، فإننا نميز هنا بيـن عنصرين، أولهمـا: (الإدراك)، وهو الجانب الذاتي مـن المعرفة، والثاني (القضية) التي أدركناها، ولها ـ بحكم تصديقنا بها ـ واقع ثابت بصورة مسـتقلة عـن الإدراك، وهذا هو الجانـب الموضوعي من المعرفة. وعليه يكون معنـى التوالد الموضوعي: أننـا متى ما وجدنا تلازمـاً بين قضيـة أو مجموعة مـن القضايا، وقضية أخرى، فبالإمكان أن تنشأ معرفتنا بتلك القضية مـن معرفتنا بالقضايا التي تسـتلزمها، فعلـى سـبيل المثـال: معرفتنـا بـ ((أنّ خالداً إنسـان، وأنّ كل إنسان فانٍ)) تتولد منها معرفة بـ ((أنّ خالداً فانٍ)) وهذا التوالد موضوعي؛ إذ هـو نابع عن التلازم بيـن الجانب الموضوعي من المعرفة المولـدة والجانب الموضوعي من المعرفـة المتولـدة، وهذا التوالـد الموضوعي هو الأسـاس في كل اسـتنتاج يقوم على القياس الأرسطي، لأن النتيجة في هذا القياس هي دائماً ملازمـة للمقدمات التـي يتكون منهـا القياس،

فتنشأ معرفتنا بالنتيجة من معرفتنا بالمقدمات على أساس التوالد الموضوعي، والتلازم بين القضايا المستدَل ببعضها على بعضها الآخر بصورة قياسية[٢٨].

٢ـ طريقة التوالد الذاتي:

إن بالإمكان تفسير الجزء الأكبر من معرفتنا على أساس التوالد الذاتي، والمقصود من التوالد الذاتي هو أنّ بالإمكان نشوء معرفة على أساس معرفة أخرى من دون أي تلازم بين موضوعي المعرفتين، وإنما يقوم التوالد على أساس التلازم بين نفس المعرفتين فبينما كان المبرر لنشوء معرفة من معرفة أخرى في حالات التوالد الموضوعي هو ذلك التلازم بين الجانبين الموضوعيين، نجد في حالات التوالد الذاتي أنّ المبرر لنشوء معرفة من معرفة أخرى هو التلازم بين الجانبين الذاتيين للمعرفة، وأن هذا التلازم ليس تابعاً للتلازم بين الجانبين الموضوعيين. وقد برهن السيد الصدر على أنّ العلم الاستقرائي التجريبي- أي العلم بالتعميم القائم على أساس الاستقراء والتجربة - لا يمكن أن يُفسر بطريقة التوالد الموضوعي، وأنّ المحاولة التي قام بها المنطق الأرسطي لإعطاء الاستدلال الاستقرائي شكلاً قياسياً لكي يقوم على أساس التوالد الموضوعي لم تكن ناجحة، وبذلك اكتشف المذهب الذاتي للمعرفة[٢٩]. ولم يقف الصدر عند مرحلة الاكتشاف هذه، بل عمل على تطبيق هذا المنهج على المختلفة الحقول المعرفية، فطبّقهُ على علم أصول الفقه، وعلم الحديث ورجال الأسانيد الروائية، ولكن القضية الأهم في هذا المجال، كانت إعادته بناء علم العقائد وأصول الدين على أساس هذا المنهج، إذ أنّ المنهج الذي اعتمده السيد الصدر في إثبات وجود الباري عزّ وجلّ، هو منهج الدليل الاستقرائي القائم على حساب الاحتمالات، وهكذا ولأول مرة يدخل منهج الاستقراء مجال علم الكلام والعقيدة الإسلامية، حيث عالج الصدر على أساسه أدلة مباحث التوحيد، والنبوة، فضلاً عن مباحث خصوصيات الرسالة الإسلامية، والأدلة على كفاءتها، وصلاحيتها لكل زمان ومكان[٣٠]، فكانت هذه القضايا، هي الهدف الرئيس الذي توخّاه السيد الصدر من وراء تأليفه كتاب (الأسس المنطقية للاستقراء) والذي يقول في نهايته: ((وتبرهن هذه الدراسة في نفس الوقت، على حقيقة في غاية الأهمية من الناحية العقائدية، وهي الهدف الحقيقي الذي توخينا تحقيقه عن طريق تلك الدراسة. وهذه الحقيقة هي أنّ الأسس المنطقية التي تقوم عليها كل الاستدلالات العلمية المستمدة من الملاحظة والتجربة، هي نفس الأسس المنطقية التي يقوم عليها الاستدلال على إثبات الصانع المدبّر لهذا العالم، عن طريق ما يتصف به العالم من مظاهر الحكمة والتدبير، فإنّ هذا الاستدلال -كأي استدلال علمي آخر-استقرائي بطبيعته... فالإنسان بين أمرين: إمّا أن يرفض الاستدلال العلمي ككل، وإمّا أن يقبل الاستدلال العلمي، ويعطي للاستدلال الاستقرائي على إثبات الصانع نفس القيمة التي يمنحها للاستدلال العلمي. وهكذا نبرهن على أنّ العلم والإيمان مرتبطان في أساسهما المنطقي الاستقرائي، ولا يمكن - من وجهة النظر المنطقية للاستقراء- الفصل بينهما))[٣١]. بل إنّ الصدر يذهب الى أنّ هذه الطريقة التجريبية الاستقرائية في الاستدلال، هي الطريقة التي فضّلها النص القرآني، ووظفها في استدلالاته على وجود الباري عزّ وجل، وهذا الأمر إنما يعود- بحسب الصدر- الى كون القرآن

الكريم بوصفه الصيغة الخاتمة للأديان قد شاءتْ إرادة الله فيه أن تبدأ رسالته الدينية بالتزامن مع تطلع الإنسان نحو العلم، وسعيه في بناء معرفته على أساس تجاربه العلمية، والتي أصبحتْ المعيار الذي يحدد موقفه من كل الأشياء، فكان من الطبيعي والحال هذه أن يتجه القرآن الكريم نحو (دليل القصد والحكمة) ويفضله على سائر الصيغ الفلسفية للاستدلال على وجود الله تعالى؛ لأن هذا الدليل الذي يمثل المنهج الحقيقي للاستدلال العلمي، يقوم على الأسس المنطقية نفسها التي تقوم عليها المعرفة العلمية. هذا بالإضافة الى أنّ الدليل التجريبي الاستقرائي على وجود الباري عزّ وجلّ هو الأقرب الى الفهم البشري العام، والأقدر على ملء وجدان الإنسان وعقله بالإيمان إذا ما قسناه ،فضلا عن البراهين والأدلة الفلسفية الأخرى ، ذات الصيغ النظرية المجردة، والتي يقتصر تأثيرها في العادة على أفكار وعقول الفلاسفة. ومن هنا نفهم الإشارة في قوله تعالى: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} سورة فصلت/الآية ٥٣.

ومن الجدير بالذكر هنا، أنّ محمد باقر الصدر يشير في أبحاثه العقائدية التي تقوم على أساس المنهج الاستقرائي الى أنّ تقييم هذا المنهج، وتحديد مدى إمكانية الوثوق بمعطياته، والركون الى نتائجه، لا يكون مقتصراً على تحليله منطقياً، والكشف عن الأسس المنطقية والرياضية التي يقوم عليها، وهو عمل لا يسع الكثيرين القيام به، ولكن ميزة هذا المنهج أنّ عامة الناس تعي قيمته الكشفية، وقدرته على إثبات الحقائق؛ لأنه المنهج نفسه الذي يستعملونه عادة لإثبات حقائق الحياة اليومية، فضلاً عن الى الحقائق العلمية، وما دام الناس الأسوياء يثقون به لإثبات هذه الحقائق فمن الضروري أن نثق به بصورة مماثلة لإثبات حقيقة وجود الخالق جلَّ وعلا، الذي هو أساس الحقائق الأخرى كلها واصلها [٣٢].

ويمكننا تلخيص خطوات منهج الدليل الاستقرائي عند الصدر بالخطوات التالية[٣٣]:

١- نواجه في مجال الحس والتجربة ظواهر عديدة.

٢- بعد ملاحظة تلك الظواهر، وتجميعها، ننتقل الى مرحلة تفسيرها. والمطلوب في هذه المرحلة إيجاد فرضية صالحة لتفسير تلك الظواهر، وتعليلها جميعاً فإذا كانت هذه الفرضية ثابتة في الواقع، فهي تستبطن وجود أو تناسب مع وجود جميع تلك الظواهر التي هي موجودة فعلاً.

٣- إثبات أنّ هذه الفرضية إذا لم تكن صحيحة، وثابتة في الواقع، ففرصة وجود تلك الظواهر كلها مجتمعة ضئيلة جداً، كنسبة واحد في المئة، أو واحد في الألف، وهكذا.

٤- نستخلص من ذلك أنّ الفرضية صادقة، ويكون دليلنا على صدقها وجود تلك الظواهر التي أحسسنا بوجودها في الخطوة الأولى.

٥- العودة الى حساب الاحتمالات لمعرفة مدى إثبات تلك الظواهر لهذه الفرضية، إذ أنّ درجة الإثبات هذه تتناسب عكسياً مع نسبة احتمال وجود تلك الظواهر الى عدم وجودها، على افتراض كذب الفرضية، فكلما كانت هذه النسبة أقل كانت درجة الإثبات أكبر، حتى تبلغ في حالات اعتيادية كثيرة الى درجة اليقين الكامل بصحة الفرضية.

وعلى أساس الخطوات المذكورة وفقاً للمنهج العلمي الاستقرائي وقواعده وأدواته، يقيم الصدر أدلتــه على إثبــات العقائد الإســلامية الأخرى ، ليس على مســتوى إثبات وجود الخالق فحسب، بل سائر العقائد الإسلامية التي تمثل أصول الدين الإســلامي. فهو في ســبيل إثبات ظاهرة النبوة، يأخذ بنفســها أدوات المنهج العلمي الاستقرائي، فيجمع الملاحظات والظواهر، ويقدم الفرضيات الممكنــة في تفســير ظاهرة النبــوة، عن طريق الدراســة المفصّلــة لطبيعة الإنســان والتاريخ، وحقيقة الطبيعة الإنســانية التي يكشــفها الســبر التاريخي، والتي تتخذ فيها ظاهرة الوحي والنبوة موقعهــا الطبيعي في التجربة البشــرية. فقضية نبوة محمد (ص) ومصداقية رسالته تتم دراستها على أساس طبيعة الرسالة وخصائصها، وطبيعة المرسَل واســتعداداته قبل الرسالة وبعدها. وفي المسار عينه تأخذ عقيدة المعاد كأصل من أصول الدين موقعها من البحــث وفق المنهج المذكور، من دون مصادرات عقلية قد لا توفّر درجة اليقين التي يوفرها الاستدلال العلمي القائم على أساس المنهــج الاســتقرائي. وعن طريق هــذا المنهج أيضــاً عالج الصدر العديد من القضايا العقائدية، كما هــو الحال في القضية المهدويــة. إنّ مما لا شــك فيه أن اعتماد هــذا المنهج في الاســتدلال علــى أصول الدين، في الوقت الذي يمثل خطوة رائــدة في تطبيقات المنهــج الذاتي في المعرفة، لينقل النظرية المكتشفة الى الواقع التطبيقي، يعدُّ في الوقت نفســه خطوة كبيرة على مستوى علم الكلام الإسلامي، ونقلة نوعية وفّرتْ له الأدوات المناسبة للإجابة على أسئلة العصر التي تثار في وجه الاستدلال الكلامي التقليدي[٣٤].

المبحث الثالث: استعمال المنهج الاستقرائي في إثبات وجود الصانع

إن قضية إثبات وجود الصانع لهذا العالم، وإثبــات وحدانيته، لها الأهميــة الكبرى من بين بقيــة الأصول والعقائــد الإســلامية، حتى نعته المتكلمــون بأصــل الأصول، بــل وأطلقوا على علم العقائد تســمية علم التوحيــد[٣٥]، وهذا حق؛ إذ الأصــول الأخرى متوقفــة عليه. وقد جاء في تعريف علم الكلام بأنه العلم الذي يبحث عن ذات الله، وصفاته، وأفعالــه[٣٦]. ويندرج تحت أفعاله - جلَّ شــأنه - : النبوّة، والإمامة، والمعاد؛ لأنها تمثــل تجليات الفعل الإلهي فــي الكون والحياة، وما بعد الحياة[٣٧].

يلتقــي محمد باقر الصــدر مع الموقف آنف الذكــر، إذ يؤكــد علــى مركزية مبحــث إثبات وجــود الصانــع، ووحدانيتــه جلَّ وعــلا. وقد ورد هــذا الموضــوع مجمــلاً أو مفصّــلاً فــي معظم كتابات الصدر، بــل كان الهدف الرئيس مــن ورائها، وهذا ما سيتكشّــف لنا من مختلف النصــوص التي نوردها للصــدر في كتبه على تنوّع ميادين البحث فيها، وقد اســتعمل الصدر في تلك المؤلفــات مفاهيم عديــدة، وطروحات جديــدة، تواكــب وتوائــم طبيعــة المرحلة التي يعيشــها الإســلام فــي صراعــه الفكــري مــع الخطاب المعارض لأفكاره، وقد استدل الصدر في بحثــه حول إثبــات الصانع وتوحيــده بأدلة مبتكــرة، أسســت أو لا أقــل أنّهــا أســهمتْ في تأسيس إسلوب ومنهجية جديدة في إثبات وجود الصانــع عزّ وجلّ. لقد رأى الصدر بأنّ مســألة الإيمان بــالله إنما هي تعبيــر فطري أصيل في الإنســان، يحمله نحــو التعلّق بخالقــه، فالتدين والاعتقــاد بالخالق شــيء توصل إليه الإنســان مبكراً في مسيرته الحضارية على هذه الأرض،

سـابق على التعقيدات والتناقضات الاجتماعية والسياسـية والاقتصادية كلهـا التي ظهرت في تاريخ البشـرية، بـل وحتى قبـل أن يصل الى مسـتويات عالية من التعقيد والتجريد الفكري، والبحث في المسائل الفلسفية ويقول الصدر في هذا المعنى: ((توصّل الإنسان الى الإيمان بالله منـذ أبعد الأزمان، وعبـده وأخلص له، وأحسَّ بارتباط عميق بـه قبل أن يصل الى أيّ مرحلة من التجريد الفكري الفلسـفي، أو الفهم المكتمل لأسـاليب الاسـتدلال. ولم يكن هذا الإيمان وليد تناقض طبقي، أو من صنع مسـتغِلّين ظالمين، تكريسـاً لاسـتغلالهم، أو مسـتغَلّين مظلومين تنفيسـاً لهم؛ لأنّ هـذا الإيمان سـبق في تاريخ البشرية أيّ تناقضات من هذا القبيل))[٣٨].

ويناقش الصدر ما شـاع فـي الفكر المادي من تعليلات ظاهرة الدينية: ((وكان من الشائع في أوسـاط المادية، أنّ الدين نشـأ نتيجة لعجز الإنسـان القديم وإحساسـه بالضعف، بين يدي الطبيعـة وقواهـا المرعبة، وجهله بأسـرارها وقوانينها))[٣٩]. أو أنّها تحيل ظاهرة التدين الى إفرازات الصراع الطبقي، كما فعلتْ الماركسية في تعليلها لظاهـرة الدين في المجتمع، انطلاقاً من فلسـفتها العامـة. وهنا يقول الصـدر مبيناً ذلـك: ((ولهـذا أخـذتْ الماركسـية تفتّش عن السبب الأصيل لنشوء الدين، من خلال الوضع الاقتصـادي للمجتمع، حتى وجدتْ هذا السـبب المزعوم في التركيب الطبقـي للمجتمع. فالواقع السيئ الذي تعيشه الطبقة المضطهدة في المجتمع الطبقي، تفجّر في ذهنيتها البائسة الأفكار الدينية، لتستمد منها السـلوة والعزاء))[٤٠]. ويرد الصدر على هـذا الزعـم بذكر حقيقـة علميـة تاريخية استقرائية، قائلاً: ((ومن حسن الحظ أن نعلم من تاريـخ المجتمعات البدائيـة، أنّ الدين ليس من الظواهر الفكرية للمجتمعات الطبقية فحسب، بل إنّ المجتمعات البدائية التي تحسـبها الماركسية تعيش في حالة شيوعية لا طبقية، قد مارستْ هذا اللون مـن التفكير، وظهرت فيها العقيدة الدينية بأشـكال شـتّى. فلا يمكن أن يُفسّر الدين تفسيراً طبقيـاً، أو أن يُعتبـر انعكاسـاً عقليـاً لظروف الاضطهاد، التي تحيط بالطبقة المستغلة، مادام قد وجد في حياة الإنسـان العقلية، قبل أن يوجد التركيب الطبقـي))[٤١]. كما ويردّ الصدر بأدلّة يصدقهـا الوجـدان الذي يشـهد له واقـع الحياة وتجربة الإنسانية، على الأقوال التي تدّعي بأنّ ظاهرة التدين في تاريخ البشرية، هي وليدة حالة من الخوف من الكوارث الطبيعية، إذ يستشـهد الصدر بالواقع العياني والتاريخي، الاستقرائي للظاهرة الدينية، ومبيناً بأنّ سبب ظاهرة التدين هـو فطـرة الإنسـان ونزوعـه الطبيعـي نحو التدين، فهذا السبب هو الأصل في هذه الظاهرة الواضحـة والبارزة في تاريخ البشـرية، يقول الصـدر: ((ولم يكن هـذا الإيمان وليد مخاوف وشعورٍ بالرعب تجاه كوارث الطبيعة وسلوكها المضـاد، ولو كان الدين وليـد خوف وحصيلة رعبٍ لكان أكثر الناس تديناً على مرّ التاريخ هم أشدّهم خوفاً وأسرعهم هلعاً، مع أنّ الذين حملوا مشـعل الدين علـى مرّ الزمن كانـوا من أقوى الناس نفسـاً وأصلبهم عوداً. بل إن هذا الإيمان يعبّـر عن نزعة أصيلة في الإنسـان الى التعلّق بخالقه، ووجدان راسـخ يـدرك بفطرته علاقة الإنسـان بربّه وكونه))[٤٢]. فالدين نداء فطري لامـس وجدان الإنسـان منذ القـدم، وانقاد إليه بعيداً عن التعقيدات والتناقضات والجدل، ولكن الإنسـان ومع بلوغـه مرحلة التجريـد الفكري بسـبب تطور الفكر الفلسفي، وظهور اتجاهات فلسـفية مادية، ووضعية، وتجريبية، دخلنا في منـاخ التعقيد الفكري والثقافي، وبدت المسـائل العقليـة متداخلـة ومتشـابكة وصار الإنسـان بحاجـة الى دليـل يثبت عن طريقـه وجود الله سـبحانه وتعالى، وبدتْ مسـألة الإيمان بالله في

ضوء هذا التنوّع الفكري والثقافي مسألة نظرية تحتاج الى عمق في التفكير والبحث والتأمّل، بل إنّها أمستْ قضية لا معنى لها في مفهوم المدرسة الوضعية، وقضية خارج نطاق البحث التجريبي، وفقاً لمنظور المذهب التجريبي. وعلماء العقيدة الإسلامية وعلى مرّ العصور قد أسهموا بتأسيس العديد من الأدلة والبراهين المتنوعة في إثبات وجود الصانع جلّ وعلا، ولكن المشكلة التي برزتْ في حياتنا المعاصرة أنّ المصطلحات الموروثة، والأساليب القديمة، لم تعد مناسبة ولا صالحة لإشباع الحاجات الثقافية لأنسان هذا العصر، وهي غير وافية ولا كافية لمواجهة شبهات المدارس الأخرى واشكالاتها ، فلم يعد برهان الحدوث والإمكان واستحالة التسلسل وأمثال ذلك - على الرغم من قيمتها البرهانية - بقادرة على مخاطبة الإنسان المعاصر فضلاً عن إقناعه، أو طرح خطاب عقائدي بمستوى المواجهة والتحدي في هذه المرحلة. وفي هذه الأجواء يبرز المنجز المعرفي الذي يقدمه الصدر مستفيداً من منجزات عصره العلمية والمعرفية، ليؤسس نوعاً جديداً من الأدلة الصالحة لإثبات المطلوب[٤٣]، وكانت أهم وأبرز التطبيقات التي طرحها الصدر وفقاً لأدواته المعرفية في المنهج الاستقرائي، ونظريته في المذهب الذاتي للمعرفة هي:

أولاً: إثبات وجود الصانع.

بعد أن بيَن الصدر منهجه في الاستدلال القائم على الاستقراء ومنطق الاحتمالات، بقوله: ((إنّ الدليل العلمي: هو كلّ دليلٍ يعتمد على الحسّ والتجربة، ويتّبع منهج الدليل الاستقرائي القائم على حساب الاحتمالات. وعلى هذا فالمنهج الذي نتّبعه في الدليل العلمي لإثبات الصانع تعالى هو منهج الدليل الاستقرائي القائم على حساب الاحتمالات، ومن أجل ذلك نعبّر عن الدليل العلمي لإثبات الصانع بالدليل الاستقرائي))[٤٤]. يمارس الصدر عملية تطبيق هذا المنهج من خلال بعض الظواهر اليومية البسيطة والمعتادة في حياة الأفراد، فيعرض لصورة شخص يتسلّم رسالة بريدية، وهو عندما يقوم بقراءتها يعرف بأنّ الرسالة من أخيه، نتيجة مجموعة من الشواهد والقرائن، وهذا ما يعده الصدر تجربة استقرائية سريعة في الذهن، وهي قائمة على ملاحظة تطابق اسم مرسل الرسالة مع اسم الأخ، وتطابق طريقة الكتابة الموجودة فيها مع كتابة الأخ، وتطابق الأسلوب والإملاء والخط وما الى ذلك من شؤون الكتابة التي يعرفها المتلقي عن أخيه كاتب الرسالة، مع تطابق المضمون والمحتوى الوارد في الرسالة مع ما يعرفه الشخص المتلقي عن أخيه من خصوصيات ومعلومات تنسجم في مجموعها مع فرضية كونه هو الذي أرسلها له، وليس شخصاً آخر. إننا في هذه الحالة قمنا بممارسة عملية استدلال استقرائي قائم على حساب الاحتمالات، ومهما كانت هذه القضية - قضية رسالة الأخ - واضحة في نظر المتلقي فهي في الحقيقة قضية قائمة على الاستنتاج بدليل الاستقراء، وعلى المنهج نفسه الذي تبناه الصدر وعرضناه فيما سبق. ثم يعرض السيد الصدر مجموعة أخرى من الأمثلة من علوم الطبيعة والفلك، وعلى المنهج نفسه الذي عرض فيه مثال الرسالة آنفة الذكرً[٤٥]، بعد ذلك يدخل الصدر في مجال البرهنة على وجود الخالق جلّ وعلا، معتمداً الخطوات التالية[٤٦]:

١- الخطوة الأولى: ملاحظة توافق مطّرد بين عدد كبير بل هائل من الظواهر المنتظمة وبين حاجة الإنسان ككائن حي لتيسير شؤون الحياة له، ويذكر الصدر هنا مجموعة من

الأمثلــة، من قبيل درجة بعد الشــمس، وقشــرة الارض، وكمية الهواء، وبعد القمر، والتركيب الفسلجي للإنسان، وغير ذلك[٤٧].

٢- الخطوة الثانية: نجد أن هذا التوافق المستمر بيــن الظاهــرة الطبيعيــة ومهمــة ضمــان الحياة وتيســيرها في ملايين الحالات يمكن أن يفسر في جميع هذه المواقع بفرضية واحدة، وهي أن نفترض صانعاً حكيماً لهذا الكون، قد استهدف أن يوفّر في هذه الأرض عناصر الحياة، ويسهّل مهمتها، فإنّ هذه الفرضية تستبطن هذه التوافقات كلها[٤٨].

٣- الخطــوة الثالثــة: نتســاءل إذا لــم تكــن فرضيــة الصانع الحكيــم ثابتة فــي الواقع، فما هو مدى احتمال أن توجــد تلك التوافقات كلها، بيــن الظواهر الطبيعية، ومهمة تيســير الحياة، دون أن يكــون هنــاك هدف وغايــة مقصودة؟ ومن الواضــح أن احتمال ذلــك يعني افتراض مجموعة هائلة من الصــدف، وإذا كان احتمال أن تكون الرســالة التي وصلتك - كما في المثال الســابق - من شــخص آخر غيــر أخيك، ولكنه يشابهه في كل الصفات بعيداً جداً؛ لأنّ افتراض المشابهة في ألف صفة ضئيل بدرجة كبيرة في حساب الاحتمالات، فما ظنك باحتمال أن تكون هــذه الأرض التي نعيش عليها بــكل ما تضمه من صنع مادة غير هادفة، ولكنها تشابه الفاعل الحكيم الهادف في ملايين الصفات[٤٩].

٤- الخطــوة الرابعــة: ((نرجّــح بدرجة لا يشوبها الشك، أنّ تكون الفرضية التي طرحناها في الخطوة الثانية صحيحة، أي انّ هناك صانعاً حكيماً))[٥٠].

٥- الخطوة الخامسة: نربط بين هذا الترجيح وبين ضآلة الاحتمال الذي عرضناه في الخطوة الثالثــة، ولمّا كان الاحتمال فــي الخطوة الثالثة يزداد ضآلة كلما ازداد عدد المصادفات التي لابد من افتراضها فيه كما بيناه ســابقاً فمن الطبيعي أن يكون هذا الاحتمال ضئيلاً بدرجة لا تماثلها احتمالات الخطوة الثالثة في الاستدلال على أي قانون علمي؛ لأنّ عدد المصادفات التي لابد من افتراضهــا في احتمال الخطــوة الثالثة هنا أكثر مــن عددها في أي احتمال مناظر، وكل احتمال من هذا القبيل فمن الضروري أن يزول[٥١].

وهكذا يصل السيد الصدر عن طريق خطوات منهجه الاستقرائي الى النتيجة التي يراها قاطعة، وهــي أنّ لهذا الكون صانعاً حكيماً، بدلالة كل ما فيه من آيات الاتساق والتدبير[٥٢].

ثانياً: صفات الصانع .

فــي مجال التعرّف علــى صفات الصانع -عزّ وجلّ- يطبّق الصدر الخطوات نفسها التي طبقهــا فــي إثبات وجــود الصانع وفقــاً للمنهج الاســتقرائي الذي اعتمده في هذه القضايا، ومن هنا يقــول: ((حينما نؤمن بالله ســبحانه وتعالى خالقــاً للكــون ومربيّــاً ومنظّماً لمســيرته وفق الحكمة والتدبير، ينتج عن ذلك طبيعياً أن نتعرّف على صفاتــه من خلال صنعــه وإبداعه، ونقيّم خصائصه بما تشــعُّ به مصنوعاته من دلالات، تماماً كما نقيّم أيّ مهندس على أســاس الصفات التي تميّز إنتاجه الهندســي، ونقيّم المؤلف على ضوء مــا يوحيه كتابه من علم ومعرفة، ونحدّد شــخصية المربــي عن طريق مــا أودع في مَن ربّاهــم من شــمائل وخصال. بهذا نســتطيع أن نأخــذ لمحةً عمّا يتصف بــه الصانع العظيم من علــم وحكمة وحياة وقدرة وبصر وســمع؛ لأنّ مــا في نظام الكون من دقّة وإبداع يكشــف عن العلــم والحكمة، وما في أعماقه من طاقات يدلّل على القدرة والسيطرة، وما في أشكاله من ألوان

الحيـاة ودرجات الإدراك العقلي والحسّـي يدلّ على مـا يتمتع بـه الصانع من حيـاة وإدراك، ووحـدة الخطّـة والبناء في تصميـم هذا الكون والترابط الوثيق بين مختلف جوانبه تشـير الى وحدة الخالق ووحدة الخبرة التي انبثق عنها هذا الكون الكبير))[٥٣].

الخاتمة

كان الشهيد السيد محمد باقر الصدر مفكراً مجـدداً ومتجدداً، وصاحب مشـروع حضاري فكـري تغييـري وإصلاحي كبيـر، يهدف الى بناء المجتمع والنظام الإسلامي وقد قدّم الصدر في هذا السـبيل كل ما اسـتطاع من عطاء على مستوى الفكر والحركة الثقافية، والسياسية، وقد شخّص بدقة مكامن الداء والتخلف والتراجع في واقع المجتمعات الإسـلامية، وعمل على توفير المعالجـات وتقديـم الحلـول الناجعـة، مراعياً طبيعـة المتغيـرات الثقافيـة والاجتماعية على مستوى المنطقة والعالم، وقد أجاد الصدر وأبدع فـي تقديم خطاب إسـلامي حضاري بمسـتوى التحدي، وبمنهجيات معاصرة ومناسبة لطبيعة المرحلة التي عاشـها المشروع الإسلامي الذي قـاده الصدر علماً وعملاً، فكراً وتطبيقاً. ورأينا كيـف تمكّن الصدر من تجديـد وتطوير أدواته في الخطاب الفكري والحركي، موظفاً معطيات التجربة الإسلامية والإنسانية المعاصرة وعلى أسس علمية رصينة.

وكان منهجه في التفسير الموضوعي للقرآن، والـذي طرحه فـي كتـاب المدرسـة القرآنية، وكذلك نظريته في المنهج الذاتي للمعرفة، والتي طرحهـا ضمن البحوث التـي عالجها في كتاب الأسـس المنطقية للاسـتقراء، اما أهم المشاريع المنهجية التجديدية التي أبدعها الصدر، وجعلها أساسـاً وبِنية تحتية، أنتج علـى قاعدتها كل بِناه الفوقيـة في الفكـر والثقافة الإسـلامية الحركية التجديديـة الإصلاحيـة. ولقـد كان التجديـد في أدوات ومنهجية الاستدلال العقائدي من بين أبرز ما أنتجـه الصدر وعمل علـى تقديمه للمجتمع، ضمن مشروعه الكبير في بناء المجتمع الصالح، والدولـة الصالحة، والذي يبـدو لي أنّ أهم ثمرة في تبنـي الصدر للمنهج الاسـتقرائي في إثبات أصول العقيدة الإسـلامية تكمن في تخليه عملياً عن مقولة إمساك الحقيقة، فضلاً عن احتكارها، تلك النظرة التي كانت تسود المدارس الكلامية، وعليه يكون تجديده فـي الرؤية العامة، من أهم مخرجات تجديده في المنهج.

الهوامش

١- ينظر: عمار أبو رغيف، التأسيس في فكر السيد محمد باقر الصدر، (مجلة قضايا اسلامية)، مؤسسة الرسول الأعظم، قـم، العـدد الثالـث، ١٩٩٦م، ص٢٨-٢٩. وينظر: محمد رضا النعماني، الشهيد الصدر ـــ سنوات المحنة وأيام الحصار، قم، ط١، ١٩٩٦م، ص٤٢ وما بعدهـا. وينظر: أحمد عبدالله أبـو زيد العاملي، محمد باقر الصدر السـيرة والمسـيرة في حقائـق ووثائق، مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ج١، ص٣ وما بعدها. وينظر أيضاً: خليل أحمد خليل، موسـوعة أعـلام العـرب المبدعين في القرن العشرين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، جـ٢، ص٦٧١.

٢ - ينظر: محمد باقر الصدر، الأسـس الإسـلامية، (نقلاً عن) عبدالهادي الفضلي، الأسـس الإسلامية عرض وبيان لما وضعه الشـهيد الصدر من أصول الدستور الإسـلامي، (ضمن: مجموعة مـن الباحثين، الإمام الشهيد محمد باقر الصدر سمو الذات وخلود العطاء) ص٣١٢.

٣- محمد باقر الصدر، ومضات، مركز الأبحاث والدراسات التخصصية، قم، ط١، ١٤٢٨هـ، ص٢٠٠ - ٢٠١.

٤- كما في المروي عن الإمام علي(ع): ((إنّ رسول الله (ص) بعث سريةً، فلما رجعوا قال: مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر. قيل: يا رسول الله، وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس)). محمد الريشهري، ميزان الحكمة، دار الحديث، قم، ط١، ١٤٢٢هـ، جـ٢، حديث رقم٢٧٤٢، ص٥٩٦.

٥- ينظر: محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط٢، ١٤٣٤هـ ــ ٢٠١٣م، ص١٣٩ وما بعدها.

٦- ينظر: محمد باقر الصدر، المصدر نفسه، ص٩ -٣٠.

٧- ينظر: محمد عبدالله درّاز، دستور الأخلاق في القرآن، تعريب وتحقيق وتعليق: عبدالصبور شاهين، مؤسسة الرسالة ــ دار البحوث العلمية، (مقدمة المعرب والمحقق)، ص (ك هـ).

٨- ينظر: محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، ص٩ - ١٩.

٩- محمد باقر الصدر، الإسلام يقود الحياة، مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، قم، ط١، ١٤٢١هـ، ص١٣٣-١٣٤.

١٠- ينظر: عبدالجبار الرفاعي، منهج الشهيد محمد باقر الصدر في تجديد الفكر الإسلامي، العارف للمطبوعات، بيروت، ط١، ٢٠١٢م، ص٣٥ وما بعدها.

١١- ينظر: حيدر حب الله، علم الكلام المعاصر، المركز العالمي للعلوم الإسلامية، قم، ط١، ١٤٢٣هـ، ص١١٩. وينظر أيضاً: علاء الحلي، المشروع التجديدي المعاصر في مدرسة النجف الأشرف وآثاره: السيد محمد باقر الصدر رائداً، الرافدين، لبنان و كندا، ط١، ٢٠١٦، ص١٨٥ وما بعدها.

١٢- ينظر: أحمد عبدالله أبو زيد العاملي، محمد باقر الصدر السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق، جـ٢، ص٤٣٨.

١٣- ينظر: المصدر نفسه، جـ٢، ص٤٣٩.

١٤- ينظر: الأسعد بن علي، التجديد الكلامي عند الشهيد الصدر، مركز الأبحاث العقائدية، قم، ط٢، ١٤٢٧ه، ص١١٥.

١٥- محمد باقر الصدر، فلسفتنا، مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، قم، ط٣، ١٤٣١هـ، ص١٣.

١٦- محمد باقر الصدر، الأسس المنطقية للاستقراء، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط٥، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ص٧ -٨.

١٧ - المصدر نفسه، ص٤٦٩.

١٨- ينظر: أحمد عبدالله أبو زيد العاملي، محمد باقر الصدر السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق، جـ١، ص٢٤١-٢٤٦.

١٩ - ينظر: جعفر الدجيلي، موسوعة النجف الأشرف، دار الأضواء، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ــ ١٩٩٧م، جـ٩، ص١٥ وما بعدها. وينظر: عبدالجبار الرفاعي، منهج الشهيد محمد باقر الصدر في تجديد الفكر الإسلامي، ص٥٥ وما بعدها. وينظر له أيضاً: جدل التراث والعصر (ضمن سلسلة كتاب قضايا إسلامية معاصرة ــ الكتاب السابع)، مؤسسة الأعراف للنشر، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص٣٨ وما بعدها.

٢٠ - سيد قطب (١٩٠٦م-١٩٦٦م) كاتب وأديب مصري، يعد أحد أبرز منظري الإسلام السياسي في القرن العشرين. كان في أول أمره ليبرالياً، ثم تحوّل الى التيار الإسلامي، ودخل في تنظيم جماعة الإخوان المسلمين عام١٩٥٢م ونشط في مجال الفكر والكتابة الإسلامية، وبالتزامن مع قرار الحكومة المصرية حظر جماعة الإخوان، سُجِنَ العديد من أعضائها وكان من بينهم سيد قطب،

وبالرغم من إطلاق سراحه في نفس العام، إلّا أنّهُ أعيد اعتقاله ثانية بعد إتهام الحكومة لجماعة الإخوان بمحاولة اغتيال جمال عبدالناصر، وكانت تهمة سيد قطب هي الانتماء للنظام السري للإخوان وهو الجناح العسكري لديهم، فحكم عليه بالسجن ١٥سنة وكانت ظروف الاعتقال والتحقيق في غاية القسوة، الأمر الذي ترك أثره على سيد قطب، وحمله على اتخاذ مواقف فكرية متطرفة من الحكومة وأجهزتها وعموم الجماهير التي اعتبرها داعمة للحكومة، وفي هذا الوضع النفسي المتأزم كتب سيد قطب أهم مؤلفاته التي أصبحتْ منهاج الحركات المتطرفة، وهي تفسيره (في ظلال القرآن) ، (معالم في الطريق) و(هذا الدين) و(المستقبل لهذا الدين) أُطلِقَ سراح سيد قطب عام١٩٦٤م نتيجة وساطة الرئيس العراقي عبدالسلام عارف، وما لبث أن اعتقل ثانية في عام١٩٦٥م بتهمة العمل على إسقاط الحكومة، فحُكِمَ عليه بالإعدام، ونُفِّذَ فيه الحكم عام١٩٦٦م. ينظر: أحمد الموصللي، موسوعة الحركات الإسلامية في الوطن العربي وإيران وتركيا، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥م، ص٣٦٥ وما بعدها. وينظر أيضاً: أيوب أبو ديّة وآخرون، موسوعة أعلام الفكر العربي الحديث والمعاصر، المكتبة الوطنية في وزارة الثقافة الأردنية، عمّان، ط١، ٢٠٠٨، ص٣٠٦ وما بعدها.- ينظر: الأسس الإسلامية، ص٣١٣.

٢٢ - ينظر: المصدر نفسه، ص٣١٥.

٢٣- ينظر: محمد رضا النعماني، الشهيد الصدر- سنوات المحنة وأيام الحصار، ص١٠٧- ١٠٨.

٢٤- ينظر: محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨١م، ص٩٤- ٩٥. وينظر أيضاً: جبران مسعود، معجم الرائد، دار العلم للملايين، بيروت، ط٧، ١٩٩٢م ، ص٢٦٩.

٢٥- ينظر: جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢، جـ١، ص٢٤٢.

٢٦- ينظر: علاء الحلي، المشروع التجديدي المعاصر في مدرسة النجف الأشرف وآثاره: السيد محمد باقر الصدر رائداً، ص٩٢.

٢٧- ينظر: محمد باقر الصدر، الموجز في أصول الدين: المرسل ـ الرسول ـــ الرسالة، تحقيق: عبدالجبار الرفاعي، دار سعيد بن جبير، ط١، ١٤١٧هـ، (مقدمة المحقق)، ص٤٥. وينظر أيضاً: كمال الحيدري، المذهب الذاتي في نظرية المعرفة، دار فرقد للطباعة والنشر، قم، ط٢، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص٧-٩.

٢٨ - ينظر: محمد باقر الصدر، الأسس المنطقية للاستقراء، ص١٢٤- ١٢٥.

٢٩ - ينظر: محمد باقر الصدر، الأسس المنطقية للاستقراء، ص١٢٣-١٢٤. وينظر أيضاً: محمد باقر الصدر، الموجز في أصول الدين: المرسل ـ الرسول ـ الرسالة، (مقدمة المحقق)، ص٤٦.

٣٠- ينظر: محمد باقر الصدر، الموجز في أصول الدين: المرسل ـ الرسول ـ الرسالة، (مقدمة المحقق)، ص٤٧. وينظر أيضاً: صائب عبدالحميد، محمد باقر الصدر - تكامل المشروع الفكري والسياسي، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ص٤٨.

٣١ - محمد باقر الصدر، الأسس المنطقية للاستقراء، ص٤٦٩.

٣٢ - ينظر: محمد باقر الصدر، الموجز في أصول الدين: المرسل ـ الرسول ـ الرسالة، ص١٢٨.

٣٣- ينظر: محمد باقر الصدر، المصدر نفسه، ص١٢٩ - ١٣٠.

٣٤ - ينظر: صائب عبدالحميد، محمد باقر الصدر- تكامل المشروع الفكري والسياسي، ص٤٩-٥٠. وينظر أيضاً: حيدر حب الله، علم الكلام المعاصر، ص١١٤- ١١٩.

٣٥ - ينظر: محمد علي التهانوي، موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، إشراف: رفيق العجم، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٦، جـ٢، ص١٢٣٠.

٣٦ - ينظر: جميل صليبا، المعجم الفلسفي، جـ٢، ص٢٣٦.

٣٧ - ينظر: الأسعد بن علي، التجديد الكلامي عند الشهيد الصدر، ص٩٧.

٣٨ - محمد باقر الصدر، الفتاوى الواضحة، تعليق: كاظم الحائري، دار البشير، ط٢، ١٤٢٤هـ، جـ١، ص١٧.

٣٩ - محمد باقر الصدر، اقتصادنا، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط١٧، ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م، ص١١٢.

٤٠ - محمد باقر الصدر، المصدر نفسه، ص١١٣.

٤١ - محمد باقر الصدر، المصدر نفسه، ص١١٥.

٤٢ -محمد باقر الصدر، الفتاوى الواضحة، جـ١، ص١٧.

٤٣ - ينظر: الأسعد بن علي، التجديد الكلامي عند الشهيد الصدر، ص٩٩-١٠٠.

٤٤ - محمد باقر الصدر، الفتاوى الواضحة، جـ١، ص٢٤.

٤٥ - ينظر: محمد باقر الصدر، الفتاوى الواضحة، جـ١، ص٢٨ - ٣٥. وينظر أيضاً: الموجز في أصول الدين: المرسل ـ الرسول ـ الرسالة، ص١٢٨ وما بعدها.

٤٦ - ينظر: حيدر حب الله، علم الكلام المعاصر، ص١٢٦-١٢٧.

٤٧ - ينظر: محمد باقر الصدر، الموجز في أصول الدين: المرسل ـ الرسول ـ الرسالة، ص١٤٠ -١٤٤.

٤٨ - ينظر: محمد باقر الصدر، المصدر نفسه، ص١٤٤.

٤٩ - ينظر: محمد باقر الصدر، المصدر نفسه، ص١٤٥.

٥٠- محمد باقر الصدر، المصدر نفسه، ص١٤٥.

٥١ - ينظر: محمد باقر الصدر، المصدر نفسه، ص١٤٥ ـــ ١٤٦.

٥٢ - ينظر: محمد باقر الصدر، المصدر نفسه، ص١٤٨.

٥٣ - محمد باقر الصدر، الفتاوى الواضحة، جـ١، ص٥٧.

المصادر

القرآن الكريم.

أـ مؤلفات الصدر:

١- محمد باقر الصدر، الأسس المنطقية للاستقراء، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط٥، ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م.

٢- محمد باقر الصدر، الإسلام يقود الحياة، مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، قم، ط١، ١٤٢١هـ.

٣- محمد باقر الصدر، اقتصادنا، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط١٧، ١٤٠٦ه ـــ ١٩٨٦م.

٤- محمد باقر الصدر، فلسفتنا، مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، قم، ط٣، ١٤٣١هـ.

٥- محمد باقر الصدر، الموجز في أصول الدين: المرسل ـ الرسول ـ الرسالة، تحقيق: عبدالجبار الرفاعي، دار سعيد بن جبير، ط١، ١٤١٧هـ.

٦- محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط٢، ١٤٣٤هـ ـــ ٢٠١٣م.

٧- محمد باقر الصدر، الفتاوى الواضحة، تعليق: كاظم الحائري، دار البشير، ط٢، ١٤٢٤هـ.

٨ـ محمد باقر الصدر، ومضات، مركز الأبحاث والدراسات التخصصية، قم، ط١، ١٤٢٨هـ.

ب ـ مراجع البحث:

٩ـ أحمد الموصللي، موسوعة الحركات الإسلامية في الوطن العربي وإيران وتركيا، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥م.

١٠ـ أحمد عبدالله أبو زيد العاملي، محمد باقر الصدر السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق، مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ ـــ ٢٠٠٦م.

١١ـ الأسعد بن علي، التجديد الكلامي عند الشهيد الصدر، مركز الأبحاث العقائدية، قم، ط٢، ١٤٢٧هـ.

١٢ـ أيوب أبو ديّة وآخرون، موسوعة أعلام الفكر العربي الحديث والمعاصر، المكتبة الوطنية في وزارة الثقافة الأردنية، عمّان، ط١، ٢٠٠٨م، ص٣٠٦ وما بعدها.

١٣ـ جبران مسعود، معجم الرائد، دار العلم للملايين، بيروت، ط٧، ١٩٩٢م.

١٤ـ جعفر الدجيلي، موسوعة النجف الأشرف، دار الأضواء، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ـــ ١٩٩٧م.

١٥ـ جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م.

١٦ـ حيدر حب الله، علم الكلام المعاصر، المركز العالمي للعلوم الإسلامية، قم، ط١، ١٤٢٣هـ.

١٧ـ خليل أحمد خليل، موسوعة أعلام العرب المبدعين في القرن العشرين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

١٨ـ صائب عبدالحميد، محمد باقر الصدر ـــ تكامل المشروع الفكري والسياسي، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

١٩ـ عبدالجبار الرفاعي، جدل التراث والعصر (ضمن سلسلة كتاب قضايا إسلامية معاصرة ـــ الكتاب السابع)، مؤسسة الأعراف للنشر، ١٤١٩هـ ـــ ١٩٩٨م.

٢٠ـ عبدالجبار الرفاعي، منهج الشهيد محمد باقر الصدر في تجديد الفكر الإسلامي، العارف للمطبوعات، بيروت، ط١، ٢٠١٢م.

٢١ـ عبدالهادي الفضلي، الأسس الإسلامية عرض وبيان لما وضعه الشهيد الصدر من أصول الدستور الإسلامي، (ضمن: مجموعة من الباحثين، الإمام الشهيد محمد باقر الصدر سمو الذات وخلود العطاء).

٢٢ـ علاء الحلي، المشروع التجديدي المعاصر في مدرسة النجف الأشرف وآثاره: السيد محمد باقر الصدر رائداً، الرافدين، لبنان و كندا، ط١، ٢٠١٦م.

٢٣ـ عمار أبو رغيف، التأسيس في فكر السيد محمد باقر الصدر، (مجلة قضايا اسلامية)، مؤسسة الرسول الأعظم، قم، العدد الثالث، ١٩٩٦م.

٢٤ـ كمال الحيدري، المذهب الذاتي في نظرية المعرفة، دار فرقد للطباعة والنشر، قم، ط٢، ١٤٢٦هـ ـــ ٢٠٠٥م.

٢٥ـ محمد الريشهري، ميزان الحكمة، دار الحديث، قم، ط١، ١٤٢٢هـ.

٢٦ـ محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨١م.

٢٧ـ محمد رضا النعماني، الشهيد الصدر ـــ سنوات المحنة وأيام الحصار، قم، ط١، ١٩٩٦م.

٢٨ـ محمد عبدالله درّاز، دستور الأخلاق في القرآن، تعريب وتحقيق وتعليق: عبدالصبور شاهين، مؤسسة الرسالة ـــ دار البحوث العلمية، (د.ت).

٢٩ـ محمد علي التهانوي، موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، إشراف: رفيق العجم، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

The renewal of Muhammad baqir al-Sadr

Assistant teacher . Imad maan khawara al-Majidi
college of arts – waist University discretion of the personal status judge

Mohammed Baqer AL sader was a refurbished and a renewed intellectual, who had a big renewed and reformist project aiming to build the Islamic system and community and he have bided all what he could on the level of intellect and the political cultural movement, and he had accurately diagnosed the reservoirs of illness and retardation in the reality of the Islamic societies, and he worked on providing the cure and presenting the effective solutions, keeping in mind the nature of the cultural and social variables at the level of the area and the world, and he was very creative in representing an Islamic and civilized speech at the level of the confrontation, and in modern methodologies that are fitting to the nature of the level that Islamic project had led intellectually scientifically and methodically by AL sader, and we saw how was he able to evolve and renewal his tools of the intellectual and kinetic speech, using the data from the Islamic humaneness modern experience a solid scientific foundation. And his method in explaining the objectivity in Quran that he put in the book of (the Quranic school) and his theory in the self curriculum of knowledge that he presented among the researches that he analyzed threw his book (the rationale of induction) presenting the most important regenerative methodology project that he created making it a foundation and infrastructure, and on its base he produced all of his super structures in the Islamic regenerative and cultural ideology, and the innovation in the tools and methodology of ideological reasoning was among the most supreme of what he produced and presented to the community, threw his big project to build the righteous community and the righteous country. And what looks to me to be the most valuable result of him adopting the inductive approach to proof that the roots of the Islamic creed lies in him abandoning the say of holding the truth, as well as monopolizing it, this point of view that was ruling the verbal schools, accordingly his renewal will be in the general vision, one of the most important outcomes of his renewal in the curriculum.